٣ ـ الأمير خسرو

الشاعر الهندى الكبير

للسيد أبى النصر أحمد الحسينى الهندى

إن اتصال الشعر دائماً هو بالماضى وبالحال ، فان اتصل بالمستقبل فذلك بواسطة الحاضر . فما يقدم لنا الشعر إما من قبل « كان » أو « يكون » : ولكنه يجمع ويرتب الحقيقة من جديد . لذلك حينما يسعى لاخراج فكرة من تلك الأمور الواقعية وتنافرها ونقائصها ، يميل بطريق راهن إلى ما لم يجمع ولم يرتب . فالشاعر لا يمثل الواقع كما هو ، بل يخلقه من جديد بقوة خياله . لذلك ليس الشعر هو التمثيل البحت للحقيقة ، بل الخيال دائماً يكون أعظم جزء فى أساسه . هذا ما يشرحه لنا شعر خسرو فى البيتين الآتيين [1] قالها فى مدح كرم حاتم خان قال :

قلت للبحر أنت كريم مثل خان

فأجاب بصوت مرتجف لا ! لا !

إن أمواجى الشحيحة تلقى عشباً لا قيمة له

ولكن حاتماً يبعثر الجواهر فى فخره الكريم

إن الشاعر يجد فى سعة الطبيعة مستودعاً كبيراً للأشباح والصور التى تعبر عن أدق المراتب للفكر الانسانى وعواطفه . فى هذا المستودع تطوف روحه طليقة ، وفيه تدبر وتفكر حتى تنتج . فالشاعر يشعر بكل مظهر حوله كأنه رمز لشئ يتعلق بالعالم الآخر ، وكأن كل شئ مؤثر فى حواسه شبيه بالغائب المحجوب ، وكأن الطبيعة بأسرها محبوكة كالأعضاء بالمشابهة والمماثلة بما هو خفى فيها ، وكأن كل وجود مستقل متصل فى جميع فروعه بغيره بواسطة رمز دقيق . وهذا هو الفرق بين العلم والشعر ، فان العالم يقسم ويحلل والشاعر يجمع ويركب . فأنت ترى كيف أن خسرو جمع بين رفع الحجاب عن وجه محبوبه ، وطلوع الشمس ، وصلاة الصبح ، فى البيت الآتى وأوجد بينها الاتصال الشعرى الدقيق الجميل قال :

برداشت طره أزرخ چون روزرفن كرد

برمن نماز صبح بوقت نماز شام

كشف (الحبيب) القناع عن وجهه عند مادُفن

النهار، (فأوجب) على صلاة الصبح فى وقت الليل

إن أهم ناحية من نواحى الشعر هى الحب والغرام ، وقد قالوا إن من حسن الشعر وجماله أن يكون له اتصال بنفسية الشاعر ، وأن يكون عليه مسحة من تجاربه النفسية . وبخاصة فى هذه الناحية ، فانه إذا تجرد عن ذلك أصبح تصنعاً وخداعاً . والشعر فى هذه الناحية يصور تصويراً شعرياً دقيقاً ما بين قلب المحب والمحبوب من الأثر والتأثر ، والجذب والانجذاب ، والعزم والانثناء ، والصبر والجزع ، والرضا والسخط ، والهجر والوصال . وشاعرنا العاشق قد صوره فى غير واحد من الديوان وعبر عن حبه بآلاف من الأبيات . نقتطف بعضها هنا قال :

دلم به ناوك جشمت هزار وزن شد

زصورت تو بهر روزن آفتابى هست

شب من أزجه سبب تيره ترشود هرروز

جوازرخ توبهر خانه ماهتابى هست

« إن سهم عينيك قد ثقب قلبى آلافا من الثقوب ، وفى كل ثقب شمس محياك طالعة . »

« لم تظلم ليلى كل يوم مادام قمر وجهك طالعا فى كل بيت . »

(١) كذلك راجع الأبيات التى قالها خسرو فى مدح ملك شجو . وقد نقلناها إلى العربية فى المقال الأول فانها أكثر دلالة من هذين البيتين على ما قلنا . وقد ضربنا صفحا عن نقلها هنا خوفاً من الاسهاب والتكرار

تخلفاً وجبنا فى أبى ربيعة . فهل استحق هذا الشيخ نعته بالمشئوم لأنه ، وقد استهوته عظمة رفيقه ، آلى على نفسه أن « يحول المرأة التى كانت فى قلبه إلى صلاة » فأراد قتل تذكارها بالوفاء لله دون الوفاء لها فى قبرها . أم كان ذلك لأنه قرر التبتل بعدها فلا يأخذ من بنات حواء من تقوم مقامها

إن من ينظر إلى حديث الشيخين ويأخذ بما ورد فى القصة وفى ختامها ليقف محيراً محتاراً بين السببين ، وليس غير الأستاذ الكبير من يزيل هذا الابهام فيأتى بمقال عن مسألة لها مكانها بين العقد الاجتماعية ، فيقول لنا ما إذا كان المثل الأعلى فى العلاقة الزوجية محبة الشخصية فى الأنوثة أم محبة الأنوثة ، فى الشخصية

اسكندرية فيليكس فارس
رئيس قسم الترجمة فى البلدية

وقال :

عاشــق شــدم ومحرم اين كارنه دارم
فريادكه غم دارم وغمخورانه دارم
يك سينه برار قصه هجراست وليكن
ازتنكد لى طاقت كفتــارنه دارم

« إنني عشقت وليس من يعرف عملي هذا . واحسرتاه ! عندى ألم ، وليس لى رفيق فى الألم »

« إن صدرى مملوء بحكاية هجر (المحبوب) ، ولكنى من ضيق صدرى لا أقدر أن أعبر عنها . »

وقال :

جندمى برسى كه خسرو راكه كشت
غمــــزه توجشم توا بروى تو
الى متى تسألين من قتل خسرو ؟
ماقتله إلا لحظك وعينك وحاجبك

وقال :

بجان رسـيدم وازدل خبر نمى يابم
وزآنكه برد دلم نيزا ثرنمى يابم

وقال :

بهارآن وكلها شكفت ليك جه سود
كه نوى توز نسيم سحر نمى يابم

« دنوت من الموت وليس لدى خبر عن قلبي ، ولا أجد أثر من خطفه . »

« جاء الربيع وتفتحت الأزهار ، ولكن لا فائدة لى منه ، لأنى لا أجد ريحك فى نسيم الصبح »

وقال :

مردمان درمن وبيهوشى من حيرانند
من درآنكس كه ترابيند وحيران نشود

« يعجب الناس منى ومن فقدان صوابى ، وأنا أعجب ممن يراك ولا يفقد الصواب »

وصف أرسطو الشعر أنه رمز إلهامه أو محاكاة عمل ذلك الالهام . وذهب دانتى إلى أن عمله هـذا أيضاً رمزى ، فالكلام الشعرى الذى يقوله الشاعر لا يمثل ذلك العمل فى شكل وقوام فني خاص ، بل يقدم فيــه المعنى الرمزى له . فأنت ترى خسرو كيف رمز إلى شدة معاناته فى الحب فى البيت الآتى حين أشار إلى أنه عرف قدر الليل بألم الأرق ، ولكنه لم يقدر أن يقيس ليلة الهجر بألم الهجر العظيم حتى بعد معرفة الليل ، فان مقياس إدراك الأسباب للآلام هى الآلام قال :

« ازين دو ديده بى خراب شب شناس شدم ،
ولى قياس شب هجر درنمى يابم »

« إنى عرفت قدر الليــل بعينى هذه المؤرقة ، ولكنى لم أجد قياساً لليلة الهجر »

قال شيلى : إن الشعر ليس له أثر أخلاق بغير تعيين ناحية خاصة من نواحى الأخلاق . لأن حقيقة الأخلاق عنده هى الحياة الفكرية فى أعلى سموها وأبهى جمالهـا . ومظهر حيوية الفكر الخيال الذى يغذيه الشعر . ففى الشعر نعيش فى العـالم الذى يصدر منه شعورنا بغاية الأشياء وبالخلق العملى فالأبيات الآتية لخسرو تبين لك ماذهب اليه شيلى قال ما ترجمتُه :

« ما دام الحبيب معنا فلم نستعجل رؤيته ؟ ومادام يوسف فى مصر قلبنا ، فَلِمَ يجرى نهر النيل من عيوننا ؟ »

« طلبت منه قتلى بلحظه القتّال فقال ، مادام الصياد فى كمين فلماذا يستعجل الصيد ؟ »

« إن سالكى طريق العشق لايبالون بالراحة والألم ، إن عشاق الكعبة لايسألون عن الطريق والميل »

(البقية فى العدد القادم) السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندى

صدر كتاب :

الأطـــلال

رواية قصصية تأليف محمود تيمور

يطلب من جميع مكاتب مصر الشهيرة وثمنه :
خمسة قروش مصرية

أطلبوا ايضا

أبو على عامل أرتست

مجموعة قصص للمؤلف